

قصص الوعظ من هوميروس إلى أرسطو

د. تيسير محمد الطيناوي*

ملخص

يبدأ البحث بموجز عن الخلفية التاريخية لقصص الوعظ، التي نتعرض فيها للتاريخ الحضاري والمؤثرات السياسية والاقتصادية التي كان لها تأثير كبير في الأدب، وذلك بهدف تعرف الأصول الكلاسيكية لقصص الوعظ في بلاد اليونان القديمة مثل معظم الأنواع الأدبية المختلفة.

وبعد ذلك تناول البحث التعريف بقصص الوعظ وبداياتها بحلول القرن السادس قبل الميلاد، ثم تطورها وآراء كثير من النقاد والأدباء، الذين أقرّوا بوجود تطابق بين عالمي الحيوانات والبشر، وأيضاً ما تحتويه هذه القصص من تشبيهات أو عظات أو تحذيرات ونصح، وكيف أنها تعلم الإنسان قبول القدر.

وكذلك استعراض البحث تناول الشعراء والكتاب لهذه القصص مع ذكر أمثلة من أعمالهم، وذلك بداية من الشاعرين هوميروس وهسيودوس ثم كتاب المسرح التراجيدي إيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس، والكوميدي أريستوفانيس حتى الفلاسفة سقراط وأرسطو.

ومن خلال هذا الاستعراض أوضح البحث أن الهدف الأساسي من قصص الوعظ كان هدفاً أخلاقياً، وهو انتصار الضعيف على القوى - بمعنى انتصار الحق وهو ما لم يكن واضحاً في بدايات قصص الوعظ التي توافرت لدى كل من استخدام هذه القصص مع مراعاة التطور الذي وصل إلى حد النقد اللاذع عند أريستوفانيس بهدف نقل الدرس الأخلاقي.

وفي النهاية أوضح البحث أن قصص الوعظ ظهرت في كثير من الأعمال الأدبية، وأنها مستخدمة في موضوعات مختلفة ومتعددة، سواء كانت علمية أو تاريخية أو فلسفية، كما وجدت في المناهج المدرسية بوصفها وسائل تعليمية.

* مدرس في قسم الحضارة الأوروبية القديمة - كلية الآداب - جامعة عين شمس.

Advice Stories from Homer to Aristotle

Abstract

The research starts with a synopsis historical background of wise stories which expose the civilized, the political history, economic, social effects which had great influence on literature, that's for knowing classical origins of wise stories in ancient Greece such as the majority of other literature types.

After that the research discussed the definition of wise stories, its beginning in the 6th. Century B.C., its development, points of view of many critics literary men who recognized the agreement between the human world, the animal world, also what that stories contain of similarities or wise or obligations and advice, how it learns human people to accept their destiny.

Also the research exposed how the poets, writers of these stories gave examples from Homer, Hesiodus then Tragic poets Aeschylus, Euripides, Sophocles, the Aristophanes in his comedies, the philosophers: Socrates and Aristotle.

From that discussion .. The research clarified that the main target of the wise stories was moral, which conquers the weak on the strong [ie The Triumph of Truth] which wasn't appearing at the promythium of wise stories.

Also the research clarified the unique elements of wise stories which was available these stories putting in mind The development which reached to pungent criticism in Aristophanes who aimed to offer the moral lesson.

Finally, the research has shown that the wise stories appeared in many literary works, used in various and multiple issues even they were scientific or historic or philosophical also it appeared in the curricula as educational means.

قصص الوعظ من هوميروس إلى أرسطو

مقدمة:

الجنود الكلاسيكية:

كان لـ " قصص الوعظ " جذور في بلاد اليونان القديمة، مثلها مثل أغلب الأنواع الأدبية الأخرى، من ملحمة وشعر غنائي وشعر تعليمي ومسرحية وتاريخ وفلسفة ... إلخ؛ بالرغم من ادعاءات المتخصصين في الدراسات الهندية المشهورين، من أمثال تيودور بينفي Theodor Benfey^(١)، أن الأسطورة الإغريقية كانت مأخوذة من الهند. وهناك دليل واضح، كما سنرى بعد ذلك، على أن "قصص الوعظ" اليونانية قد تطورت بالتدريج وبصورة مستقلة تماماً في بلاد الإغريق، كما تم ذلك في الهند. من المحتمل فعلاً أن تكون الأساطير الشعبية "أو الحواديت" الشخصية قد انتقلت شفهاً من شبه القارة الهندية إلى شواطئ البحر المتوسط وبالعكس. ولقد أشار العالمان بينفي Benfey و بنزر Penzer^(٢) إلى أمثال عدة من القصص؛ مثل "قصة سيدة إفيشوس" التي تبدو أنها بالفعل نشأت في الهند وانتقلت إلى الغرب، ومن المحتمل أن ذلك قد حدث في عصر الإسكندر الأكبر.

وهناك أيضاً قصص أخرى؛ مثل حكاية "حوار البطن وأعضاء الجسم" التي جاءت من منطقة البحر المتوسط. لقد كانت الدراسات المقارنة الهندية واليونانية الرومانية لقصص الوعظ في جزء منها هي التي أشعلت جذوة نظريات الانتشار التي شاعت في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن.

إن الدليل يتجه إلى حقيقة أن التكوين الأكبر للدور الكلاسيكي لقصص الوعظ كان قد نشأ محلياً، وولد بعيداً عن المتطلبات البلاغية والتعليمية^(٣).

لم يواجه الكلاسيكيون مشاكل الكثرة التي واجهها المتخصصون في الدراسات الهندية، فمواد الكتابة والتي هي في أغلبها من الجلد والرق، كانت أكثر دواماً من ألياف النخيل، وكانت تحوى قدراً أكبر من النصوص، حتى أوراق البردي، أكثر المواد هشاشة في الكتابة القديمة، كانت تعيش أكثر من ألياف النخيل.

زيادة على ذلك، أن مناخ البحر المتوسط، الجاف والدافئ، في بعض المناطق؛ مثل مصر وفلسطين، وهو بالفعل مجذب، كان له الفضل في الحفاظ على المخطوطات. إن أكثر الاكتشافات استحقاقاً للمشاهدة للنصوص القديمة تشمل الوثائق الخاصة بالبحر الميت، وهي مشهورة وتسجل بعض النسخ القديمة "للعهد القديم" وغيرها من الوثائق الأخرى. لقد كانت حكاية "حوار البطن وأعضاء الجسم" محفوظة على قطعة من الرق المصري^(٤).

وهناك شذرات من مجموعة الأساطير الإغريقية القديمة محفوظة أيضاً على أوراق البردي، ومعروفة الآن باسم ريلاند Ryland^(٥).

ومع ذلك فإن المعارف القديمة ليست بلا مشاكل. ومن بين المخطوطات التي حفظت لنا حتى يومنا هذا، فإن أقدم تاريخ لها يرجع إلى القرن الأول الميلادي.

وعلى أية حال، فإن القدر الأكبر منها، هو النسخ المؤرخة منذ عصر النهضة كارولينجيان Carolingian في القرن التاسع أو النهضة القوطية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر التي اختفت أصولها الكلاسيكية منذ زمن بعيد. وقد نسخت بعض الأعمال الإغريقية والرومانية فيما بعد النهضة الإيطالية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر^(٦).

من سوء الحظ، لقد ازدادت اللعنة الكبيرة للمخطوطات الكلاسيكية، فهناك مكتبة الإسكندرية، التي تضم أضخم مجموعة من المخطوطات في العالم القديم، وغيرها من المكتبات قد كابدت الحرق والنهب والدمار خلال القرون، وبلغت ذروتها القصوى في الحطام الذي سببته الحرب العالمية الثانية. وإضافة إلى هذه المصائب، كان من المؤلف لدى كتاب القرون الوسطى أن يعيدوا إعداد الرق للكتابة، وذلك بمسح النصوص القديمة وعزلها بطبقة من الصلصال الأبيض، وذلك لصنع رق جديد. وبالرغم من هذه المشاكل، فإن تطور "قصص الوعظ" قد سجل على نحو جيد في الأدب الكلاسيكي.

من هوميروس إلى أرسطو

الخلفية التاريخية:

لقد تطورت "قصص الوعظ" في بلاد اليونان خلال حقبة طويلة، خضعت فيها الحضارة الهيلينية لتغيرات عميقة. ومع الوقت سجلت الإلياذة والأوديسية على أنهما من إنتاج القرن الثامن، وكان العالم اليوناني ينهض من عصر الظلام، وهي فترة ذات تميز ثقافي بسيط. وقد امتد العصر القديم التالي من حوالى عام ٨٠٠ إلى عام ٦٠٠ ق.م؛ وشهد بزوغ المراكز المدنية والمعابد. وتبين لنا مدافن ذلك العصر طبقات اجتماعية متميزة. وقد دفع التقدم، فى ميادين الزراعة وإدخال الأدوات الحديدية، إلى زيادة فى عدد السكان، أدى إلى انتشار المستعمرات اليونانية واتساعها شرقاً وغرباً بحذاء شاطئ البحر المتوسط وفى منطقة الدردنيل. وقد زاد ظهور الطبقة العليا الثرية من الطلب على وسائل الرفاهية والبضائع الأجنبية، وقد أنعش ذلك التجارة البحرية^(٧).

إن زيادة الرخاء قد سببت أيضاً الانتعاش الفنى، فوصل الرسم والنحت والعمارة والموسيقى إلى مستوى عال لم يكن معروفاً آنذاك فى العالم الهليني.

وكانت عملية الترجمة للعمود البدائي B من الأبجدية، التى كان يستخدمها الموكينيون بصورة كبيرة فى السجلات، والتى أصبحت نظاماً كاملاً للكتابة، ساعدت على تطور الأدب والفلسفة والتفكير العلمى .. وهكذا، ففى أثناء هذه الحقبة (حوالى عام ٧٠٠ ق.م.) قد تم تسجيل ملاحم هوميروس وأشعار هسيودوس كتابياً^(٨).

امتد العصر الكلاسيكى من حوالى عام ٦٠٠ إلى عام ٣٢٣ ق.م. وشهد دفعة أكبر بدأت أثناء العصر القديم. وبسطت دولة المدينة سلطاتها على المناطق الريفية المجاورة. وكانت الديمقراطية قد ولدت فى أثينا. وبسطت إسبرطة سلطاتها على البلوبونيز. وأصبحت التجارة هى عصب الحياة الاقتصادية، وأصبحت بلاد اليونان على اتصال بالشعوب البعيدة. وقد حركت الرحلات الخارجية والاتصال بالشعوب البعيدة، التطور الفكرى، لدرجة أن الحضارة الهلينية قد وصلت إلى أوج عظمتها. وقد وصل الفن والعمارة إلى مراتب عالية فى ذلك الوقت. وسمحت التجارة مع مصر باستيراد أوراق البردى، الذى كان له الفضل فى تطور التعليم والأدب. وأخذت التراجيديات والكوميديات شكلها الرسمى، واحتلت مكانة عالية فى الأدب الإغريقى، وفى الحياة الاجتماعية. وكان من أشهر الكتاب والدارسين فى هذه الفترة فيثاغورث Pythagoras (٥٨٢ ق.م. - ؟) وإيسخولوس (٥٢٥-٤٥٦ ق.م.) وبنداروس (٥٢٢-٤٤٣ ق.م.) وسوفوكليس (٤٩٥-٤٠٦ ق.م.). وقام

الفلاسفة بافتتاح المدارس، حتى يقوموا بتعليم أبناء العائلات الأرستقراطية ذات المكانة العالية^(٩).

في القرن الخامس ق.م.، بسطت دولة المدينة في أثينا، تحت قيادة بيركليس، سلطانها وتأثيرها حول شاطئ بحر إيجه، عن طريق الحروب والتحالفات، كما بسطت إسبرطة وحلفاؤها من الدويلات سلطانها على معظم البلبونيز.

على أية حال، كانت هذه التحالفات غير مستقرة، حتى في أزهي عصورها، واتجه الاستقرار السياسي أخيراً إلى أن يكون استقراراً مؤقتاً. وقد بدأت هذه الفترة بالغزوات الفارسية والانتصار الإغريقي، وانتهت تقريباً بعد حرب البلبونيز بخمسين عاماً، والتي كان لها أثر كبير في إضعاف كلا من أثينا المهزومة وإسبرطة المنتصرة. ومنذ الحرب البلبونيزية الكبرى وما بعدها، حطمت الحروب الأهلية والاضطرابات الاجتماعية شمال اليونان. وفي السنين الأولى من العصر الكلاسيكي، ازداد الرخاء، لدرجة أن المجتمع الهليني أصبح مجتمعاً طبقياً بصورة كبيرة. وأخذ الإغريق في الاعتماد، بصورة متزايدة، على جهد العبيد، وعهد إليهم بالأعمال العامة الكبيرة. لقد تم تحصين المدن بصورة قوية، وأقيمت المعابد والمسارح والمكتبات. وتم في أثينا البدء في تشييد البارثينون عام ٤٤٧ ق.م. وانتهى في عام ٤٣٢ ق.م. وفي المجال الفكري، احتل الساحة دارسون عظماء، وفلاسفة وشعراء، من أمثال هيرودوتوس (٤٨٤-٤٢٠ ق.م.)، ويوربيديس (٤٨٤-٣٩٩ ق.م.)، وسقراط (٤٧٠-٣٩٩ ق.م.)، وهيبيكراتيس (٤٦٠-٣٧٧ ق.م.) وثيوكوديديس (٤٦٠-٣٩٥ ق.م.)، وأريستوفانيس (٤٤٤-٣٨٠ ق.م.)، وأفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م.)، وأرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.)، وأبيقور (٣٤٢-٢٧٠ ق.م.). كل هؤلاء قاموا بتعليم الشباب الارستقراطي، وواصلوا نشاطاتهم، بالرغم من ازدياد الاضطرابات الاجتماعية^(١٠).

بدأ القرن الرابع ق.م. بالصراعات بين طيبة وإسبرطة، وبالحروب الكثيرة حتى مجيء المقدونيين. في عام ٣٥٨ ق.م. اجتاح البلاد فيليب المقدوني، من الشمال على رأس جيش مكون من عشرة آلاف رجل وستمئة فارس. وبحلول عام ٣٣٦ ق.م. أصبحت بلاد اليونان والهليسيبونت كلها تحت سيادة فيليب. وفي عام ٣٣٧ ق.م.، بعد مقتل فيليب، أصبح ابنه الإسكندر ملكاً على البلاد، وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً أو تسعة عشر. وقد وصلت الحضارة الهلينية تحت حكم الإسكندر الأكبر، أوج عظمتها وانتشارها؛ إذ امتدت من شواطئ البحر المتوسط إلى ضفاف نهر النيل وإلى الهند^(١١).

لقد أدت الحروب وعدم الاستقرار السياسي إلى حدوث أزمات اقتصادية

كبيرة، جعلت هناك فارقاً كبيراً بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، وأدى ذلك مؤخراً إلى حدوث اضطرابات أهلية وإلى اندلاع ثورة الطبقات الدنيا والعيبد ضد الطبقة العليا، وبدأت الحياة الاقتصادية والفنية والفكرية في التدهور، وفقدت الفنون التشكيلية حيويتها السابقة، وأصبحت أكثر زخرفة.

وفي مجال الأدب تميز العصر بزيادة الحفاظ على الشكل، وبدأ دارسو هذا العصر في تكريس جهودهم للحفاظ على الموروث الذي تركته لهم الأجيال السابقة، أكثر منه التجديد والإبداع. وقد أدى هذا الجهد للاستزادة من المعرفة إلى ظهور عدد كبير من دوائر المعارف والمختارات والملخصات في معظم الموضوعات المتفاوتة^(١٢).

تطور "قصص الوعظ"

على عكس الخلفية السياسية والاجتماعية المتغيرة دائماً، نجد أن "قصص الوعظ" الكلاسيكية قد نمت وترعرعت. وقد أشار رودريجويز Rodriguez Adrados^(١٣) إلى أن كلا من القصة الأسطورية والتشبيه الطويل، يشبهان القول المأثور والجملة أو العبارة المستخدمة مثلاً، قد لعبا الدور نفسه في الحديث الإغريقي. وقد أطلقوا عليه اسم λόγοι أو αἶνοι بدون تمييز واضح. ولقد كان المصطلح الأول ينطبق أيضاً على أنماط مختلفة من الفلكلور القصير، مثله مثل الحكمة أو الموعظة والمثل، وكانت العبارة المستخدمة مثلاً تشبه الروايات والمقالات الطويلة.

يشير المصطلح الثاني بالفعل إلى المثل وإلى الشعر. ولقد ميز الإغريق أيضاً بين "قصص الوعظ" الأيسوبية والسيباريسية^(١٤) والإلييرية^(١٥)، ولكن التعليل العقلي لما وراء هذا التمييز غاب كثيراً عن دارسي الحكاية الكلاسيكية.

على أية حال، من الجدير بالملاحظة أنه، بالرغم من أن الأنواع الأخرى من الـ αἶνοι والـ λόγοι قد تمت الإشارة إليها في سياق الأدب، فإن الـ Aesopoi Logoi قد رويت على لسان شخصيات تاريخية في مناقشات ومسابقات الذكاء. وعلى هذا، فمن الممكن أن يكون تصنيف "قصص الوعظ" الإغريقية قد تركز على الوظيفة أكثر منه على المحتوى أو الشكل^(١٦).

يرى رودريجويز Rodriguez Adrados^(١٧) أن بدايات "قصص الوعظ"، التي يسميها أساطير أو حكايات، كانت في التشبيهات الهوميرية الكثيرة أو في الاستعارات، مثلما هو موجود في الإلياذة؛ إذ يقارن هوميروس المحارب الأخي، أياكس ابن تيلامون:

- Ζ ἕνς δὲ πατὴρ Αἰάνθ' ὑψίζυγες ἐν φόβονῶρσε
- στῇ δὲ ταφῶν, ὁ πιθεν δὲ σάκος βάλεν επταβόειον,
- τρέσσε δὲ παπτήνας ἐφ' ομίλου, θηρὶ εὐοικῶς,
- ἐντροπαλιζόμενος, ὀλίγον γόνυ γουνὸς ἀμείβων
- ὡς δ' αἰθωνα λέοντα βοῶν ἀπὸ μεσσαύλοιο
- ἔσσεύαντο κύνες τε καὶ ἀνέρες ἀγροιώται,
- οἱ τε μιν οὐκ εἰῶσι βοῶν ἐκ πίᾱρ ελέσθαι

- πάννουχοι ἐγρήσσοντες· ο δὲ κρειῶν ἐρατίζων
- ἰθύει, ἀλλ' οὐ τι πρήσσει· Θαμέες γὰρ ἄκοντες
- ἀντίον αἰσσοῦσι θρασειάων ἀπὸ χειρῶν,
- καιόμεναί τε δεταί, τάς τε τρεῖ ἐσσύμενος περ·
- ἡῶθεν δ' ἀπονόσφιν ἔβη τετιηότι θυμῷ·

"إن أبانا زيوس، المتربع على العرش العالي، شجع أياكس على الفرار، ووقف مبهوراً ورمى بدرعه خلف رقبته الغليظة، وبمنظرة فاحصة تجاه الحشد فر، مثل الحيوان المفترس، ملتفتاً دائماً إلى الخلف، يبذل ببطاء خطوة خطوة. وهكذا يشبه الأسد الشرس عندما تطارده الكلاب وجموع الفلاحين من حظيرة البقر، الذين لا يتركونه، بأن يمسك بأسمن واحدة من البقر، فيستيقظون طوال الليل، ولكنه وهو في نهمه الشديد للحم، يندفع، ولكنه لا ينجز شيئاً على الإطلاق؛ لأن الحراب الكثيرة كانت تطير من أيد قوية في مواجهته، وتخور قواه أمام جمرات النار المتقدة أيضاً، وذلك في اندفاعه أمام رغبته الشديدة، ولكنه عند الفجر يرحل بعيداً حزين القلب"^(١٨).

وزيادة على ذلك يقارن هوميروس عناد أياكس ووصفه بالحمار الذي دخل حقلاً مزروعاً بالقمح، ويرفض أن يخرج منه حتى يكون قد أكله كله:

- ὥς Αἴας τότ' ἀπὸ τρώων τετιημένος ἦτορ
- ἦιε πόλλ' ἀέκων· περὶ γὰρ διέ νηυσὶν Ἀχαιῶν·
- ὡς δ' οτ' ὄνος παρ' ἄρουραν ἰὼν ἐβίησατο παῖδας
- νωθής, ὦ δὴ πολλὰ περὶ ρόπαλ' ἀμφὶς ἐάγη,
- κείρει τ' εἰσελθὼν βαθὺ λήϊον· οἱ δέ τε παῖδες
- τὺ πτοῦσιν ροπάλοισι βίη δέ τε νηπιή αὐτῶν·
- σπουδῇ τ' ἐξηλασσαν, ἐπεὶ τ' ἐκορεσσατο φορβῆς·
- ὥς τότ' ἐπειτ' Αἴαντα μέγαν, τελαμώνιον υἱόν,
- τρῶες υπέρθυμοι πολυηγερέες τ' ἐπίκουροι
- νύσسونτες ξυστοῖσι μέσον σάκος αἰὲν ἐποντο·

"وهكذا فر أياكس آنذاك بعيداً عن الطرواديين، حزين القلب، على غير رغبة منه في ذلك تماماً؛ لأنه كان قلقاً جداً على سفن الأخيين. مثله مثل حمار غبي، يمر

بأحد الحقول، يهاجم الأولاد، ويحطم سيقان القمح الكثيرة من حوله، وعندما يدخل إلى العمق، يفسد حقل القمح؛ ويقوم الصبية بضربه بالعصى، رغم بساطة قوتهم، ويخرجونه بصعوبة، عندما يكون قد التهم المرعى؛ كذلك أيضاً آنذاك فعل الطرواديون، الشجعان ذائعو الصيت، وحلفاؤهم عندما يجعلون باستمرار من أياكس بن تيلامون هدفاً لضرباتهم المباشرة فوق درعه^(١٩).

وفضلاً عن ذلك يقارن هوميروس قدر اثنين من المحاربين؛ هما أورسيلوخوس Orsilochous و كريثون Crethon ، بقدر أسدين:

- οἷω τώ γε λέοντε δύω ὄρεος κορυφῇσιν
- ἐτραφέτην ὑπὸ μητρὶ βαθείης τάρφεσιν ὕλης·
- τὼ μὲν ἄρ' ἀρπάζοντε βόας καὶ ἴφια μῆλα·
- σταθμοὺς ἀνθρώπων κερατίζετον, ὄφρα καὶ αὐτῶ
- ἀνδρῶν ἐν παλάμησι κατέκταθεν ὀξεί χαλκῶ·

"مثلهما مثل أسدين كانا يتربعان على قمة الجبل وقد ربتهما أمهما في أدغال غابة كثيفة، وكان التوأمان يخطفان الثيران والغنم السمينة، ويقومان بالسطو على مزارع الرجال، حتى يتم قتلهما على أيدي الرجال بسلاح برونزي حاد"^(٢٠).

وكذلك في الأوديسية، يقص تيليماخوس بن أوديسيوس، على مينيلائوس، ملك الأخيين، كيف يضايق الأعداء بنيلوبى. وعندئذ يتعجب مينيلائوس:

- Ω πόποι, ἦ μάλα δὴ κρατεροφρόνος ἀνδρὸς ἐν εὐνῇ
- ἤθελον εὐνηθῆναι ἀνάλκιδες αὐτοὶ εὐνῶντες·
- ὥς δ' ὁπὸτ' ἐν ξυλόχῳ ἔλαφος κρατεροῖο λέοντος
- νεβροὺς κοιμήσασα νέηενεας γαλαθηνούς
- κνημοὺς ἐξερέησι καὶ ἄγκεα ποιήεντα
- βοσκομένη, ὃ δ' ἐπειτα εἴην εἰσῆλυθεν εὐνήν,
- ἀμφοτέροισι δὲ τοῖσιν ἀεικέα πότμον ἐφῆκεν,
- ὥς Ὀδυσσεὺς κείνοισιν ἀεικέα πότμον ἐφήσει·

"أه، سحقاً لهم، لأنهم كانوا يريدون بالفعل أن يناموا في مضجع رجل قوى، وهم أنفسهم جنباء. كما هو الحال عندما وضعت إحدى الأيائل صغارها الرضع لتنام في عرين أسد قوى، وأخذت تتجول على منحدرات الجبل وفي الوديان

الخضراء بحثاً عن مرعى، وأنداك دخل (الأسد) إلى عرينه وجلب الموت المحتوم على كليهما، وهكذا سيجلب أوديسيوس الموت المحتوم على هؤلاء الرجال^(٢١).

بالرغم من أن الحيوانات في هذه الفقرات لم تأخذ الشكل الإنساني، وليس هناك أى صراع - فهذه هي مواجهة درامية بين خصمين - كما هو فى "قصص الوعظ" اليونانية المتأخرة، وهناك تطابق واضح قد تم بين عالم الحيوانات وعالم البشر. زيادة على ذلك، غالباً ما تحتوى هذه التشبيهات على ناحية أخلاقية أو عظات مذكورة ضمناً.

على سبيل المثال، حكاية الأسد المتجول (الذى يحاول الدوران لطلب الفريسة) فيواجه ميتة عنيفة، تحضر إلى ذهننا المثل الموجود فى "العهد القديم": "رد سيفك إلى مكانه؛ لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون"^(٢٢).

على أية حال، نجد فى الملحمة اليونانية، بدلاً من إدانة العنف، يبدو أن هذه التشبيهات تعلم الإنسان قبول القدر. والهدف الأخلاقى أو العظة من الفقرة الواردة من الأوديسية هو أن عديم البصيرة أو الغبى، لابد له من أن يعانى، وليس من الضروري للقوى أن يكون رحيماً. فى كلتا الحالتين، هناك إدانة للعنف أو نبذ للقوة.

على أية حال، إن النموذج اليونانى الواضح، لا يظهر حتى العقد الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد، فى كتاب هسيودوس "الأعمال والأيام" لا يكون جزءاً من مجموعة، ولكنه إقحام أو خروج عن الموضوع فى جزء كبير من مضمونه. فبعد سرد سلسلة من الأساطير وشرح لأسبابها، وقبل أن يوجه النصح لبيروسيوس Perses، معاونه، يقطع هسيودوس حديثه ليقول:

- Nũn δ' αἶνον βασιλεῦσιν ἐρέω φρονέουσι καὶ αὐτοῖς
- ὦδ' ἱρήξ προσέειπεν ἀηδόνα ποικιλόδειρον
- ὕψι μάλ' ἐν νεφέσσι φέρων οὐνύχεσσι μεμαρπώς
- ἡ δ' ἐλέον, γναμποῖσι πεπαρμένη ἀμφ' οὐνύχεσσι,
- μύρετο· Τὴν ὅγ' ἐπικρατέως πρὸς μῦθον ἔειπεν·
- Δαιμονίη, τίλέλῃκας; ἔχει νύ σε πολλὸν ἀρείων·
- Τῇ δ' εἷς ἡ σ' ἂν ἐγὼ περ ἄγω καὶ αἰοδὸν εὐῶσαν·
- δεῖπνον δ', ἅ κ' ἐθέλω, ποιήσομαι ἡὲ μεθήσω
- ἄφρων δ', ὅς κ' ἐθέλῃ πρὸς κρείσσονας ἀντι φερίζειν·
- νίκης τε στέρεται πρὸς τ' αἰσχεσιν ἄλγεα πάσχει,
- Ὡς ἔφατ' ὠκυπέτης ἡρήξ, τανυσὶ πτερος ὄρνις·

"الآن سوف أروى قصة على الأمراء الذين يدركونها هم أنفسهم. هكذا قال الصقر للعندليب ذى العنق الأرقط، عندما حمله عالياً بين السحاب ماسكاً إياه بشدة بين مخالبه، وهو يصيح بصورة مؤثرة، وتنغرس فيه مخالبه الملتوية. وقال له بازدراء: "أيها الشيء الحقير، لماذا تولول؟ شخص أقوى منك بكثير يستحوذ عليك الآن بشدة، وعليك أن تذهب حيثما أقودك، إنه لغبي من يفكر في أن يصارع الأقوياء؛ لأنه لن تكون له السيادة ويعانى الألم إلى جانب الخزي". هكذا قال الصقر المحلق بسرعة، الطائر ذو الجناحين الطويلين"^(٢٣).

من الواضح أن هذه القصة تحذيرية أو مثال يقتدى به، تحذر الشعراء وغيرهم من الملوك والطغاة المستبدين. على أية حال، إنها مثل العملة ذات الوجهين، تحتوى أيضاً على درس لمن هم في موقع السلطة وقوته. وكما يحدد رودريجو ريزه Rodríguez Adrados^(٢٤) إن أغلب العناصر المميزة لقصة الوعظ الأخيرة هي بالفعل واضحة هنا:

(١) مقدمة تعريفية شارحة، أو Promythium ، وهي تربط قصة الوعظ بالنص الفعلي في السطر الأول.

(٢) الحوار البطولي بين الحيوانات التى تتخذ شكل البشر.

(٣) الهدف الأخلاقي النهائى، أو Epimythium ، فى نهاية قصة الوعظ، هو انتصار الضعيف على القوى، الذى يميز أغلب القصص اليونانية المتأخرة، لا يزال غير واضح هنا.

هناك دليل على أنه بحلول القرن السادس قبل الميلاد وجدت مجموعة متواترة من قصص الوعظ ذات القيمة. وقد نسبت مؤخراً إلى أيسوبوس التراقي Aesopos ، الذى نعرف عنه القليل جداً. وتقول الروايات المتواترة إنه كان بارعاً فى اقتباس "قصص الوعظ" بذكاء وفى توقيت مناسب تماماً. إن حكمته وفنه بوصفه راوياً قد أكسبته استحساناً واحتراماً كبيراً، ولكن كان هناك رأى آخر بأن أيسوبوس لم يكتب أياً من قصصه. وبالحكم على نوع القصص الذى نسب إليه فعلاً، فإن بيان الأدوار التى ذكرها لابد أنها تتكون بالفعل من قصص الحيوانات. وأصبح من المعتاد بعد ذلك أن ينسب إليه أية قصة تحمل صورة مشابهة لتلك القصص التى ذاع أنه كتبها فى أثناء حياته. على أية حال وبسبب نقص الوثائق، فمن الصعب، إن لم يكن من المستحيل أن نحصل على الشكل المؤكد لقصص أيسوبوس. إنها من الممكن أن تكون إما تشبيهات لحيوانات، مثل تشبيهات هوميروس، مجرد قصص لحيوانات، وإما قصصاً نموذجية متطورة؛ مثل المثال المقتبس من هسيودوس فى "الأعمال والأيام"^(٢٥).

بدأ في القرن السادس والخامس قبل الميلاد ظهور "قصص الوعظ" بصورة متزايدة، مما كان عليه في الأغلب، واتخذ شكل التشبيه الهومري، وقد استخدم بصورة عادية على أنه نموذج توضيحي أو استعمل لتقوية الدليل. وهذا حقيقي بصفة خاصة بالنسبة لعمل كاتب التراجيديا الإغريقي، إيسخولوس (٤٥٦-٥٢٥ ق.م.)، الذي غالباً ما استعمل تشبيهات من النمط الهومري. على سبيل المثال، في مسرحيته "سبعة ضد طيبة"، عندما علم الملك إتيوكليس Eteocles ، نتائج الزواج الفاحش بين أوديب وإيوكاستا Jocasta ، بأن أخيه بولينيكيس Polyneices على وشك أن يحاصر المدينة، يتعجب الكورس:

- γείτονες δε καρδίας
- μέριμνοι ζωπυροῦσι τάρβος
- τὸν ἀμγιτειχῇ λεών,
- δράκοντας ὡς τις τέκνων
- υπερδέδουκεν λεχαίων δυσευνάτορας
- πάντρομος πελειάς

"إن الهموم الجاثمة على قلبي تشعل خوفاً على الجيش المحاصر، بالضبط مثل الحمامة المتخوفة على الدوام على صغارها خشية الثعابين، الزائرين، شديدي البأس، لعشها" (٢٦).

وفي موضوعات متنوعة بعد ذلك، سنجد هذا الموضوع منتشرًا بصورة واسعة، ولكن النواة الأساسية للموعظة وهدفها الأخلاقي موجودة بالفعل في البيتين اللذين يصفان خوف الحمامة التي تتهددها الحية.

وفي مسرحية "أجاممنون" Agamemnon ، حتى يتم تفسير الحكم الجائر الذي مارسه الطرواديون في الترحيب بهليني، يقدم الكورس القصة الآتية:

(στρ. β)

- ἔθρεψεν δὲ λέοντος ἱ —
- νιν δόμοις ἀγάλακτον οὐ —
- τως ἀνὴρ φιλόμαστον,
- ἐν βίотου προτελείοις
- ἄμερον, εὐφιλόπαιδα

- καὶ γεραροῖς ἐπίχαρτον
- πολέα δ' ἔσχ' ἐν ἀγκάλαις
- νεοτρόφου τέκνου δίκαν,
- φαιδρωπὸς ποτὶ χεῖρα σαί -
- νων τε γαστρὸς ἀνάγκαις

(Αντ. β)

- χρονισθεῖς δ' ἀπέδειξεν ἦ -
- θος τὸ πρὸς τοκέων χάριν
- γὰρ τροφεῦσιν ἀμείβων
- μηλοφόνοισιν <ἐν> ἄταις
- δαῖτ' ἀκέλευστος ἔτευξεν
- αἷματι δ' οἶκος ἐφύρθη,
- ἄμαχον ἄλγος οἰκέταις
- μέγα σίνος πολυκτόνον
- ἐκ θεοῦ δ' ἱερεὺς τις ἄ -
- τας δόμοις προσέθρεφθη

"وهكذا مثل رجل ربي في بيته شبل أسد محروماً من اللبن (من لبن أمه) ولكنه لا يزال مشتاقاً لصدرها، كان وديعاً في فجر حياته، محبباً للأطفال ومبهجاً للكبار؛ غالباً ما تربى بين الأحضان مثل الطفل الرضيع، ذي طلعة بهية ناظراً تجاه يديه متذللاً تحت وطأة بطنه (تحت وطأة الجوع)".

"ولكن بمضى الوقت أفصح عن طبعه الذي أخذه من والديه، وطواعية شكلها لمن ربه، أعد وليمة بمذبحة فظيعة جداً للقطيع، لدرجة أن المنزل لوث (لطخ) بالدماء، وكان هناك ألم مبرح لا يقاوم للعائلة، وكان الدمار عظيماً. إن أحد الكهنة (كهنة إلهة الدمار) قد تربى بالمنزل" (١٧).

إن الهدف الأخلاقي المذكور ضمناً في هذه القصة واضح. إن المرء يتبنى مخلوقات مفترسة وخطرة وذلك مخاطرة ومجازفة. إن هذا بلا شك درس في الحكم على الأمور بصورة سليمة وعملية أكثر بكثير من الوصية الأخلاقية.

ومن المفيد، أن هذه الخاصية سوف تستمر لتكون سمة أو علامة قصة الوعظ اليونانية خلال العالم الكلاسيكي. وعلى أية حال، "قصص الوعظ" عند إيسخولوس تنقصها الفكاهة، التي هي إحدى خصائص قصة الوعظ الكلاسيكي فيما بعد. وإن ما ينقص إيسخولوس في قصص وعظه هو الحوار بين الأبطال، حتى بالرغم من أن الموقف به صراع بصورة واضحة. في كلتا القصتين المشار إليهما من قبل، نجد أن أكثر الشخصيات المشاركة قوة لها اليد العليا، مع أنه، في القصة، الأضعف من كلا البطلين سوف ينتصر في الأغلب بلا تغيير.

وسوفوكليس (٤٩٦-٤٠٦ ق.م.)، أحد أعظم كتاب التراجيديا الإغريق، قد دَبَّج عمله أيضاً بقصص الوعظ، فنجد، على سبيل المثال، في مسرحية آياكس "Ajax" اثنين من شخصياته؛ هما مينيلوس وتيوكروس، بعد مناقشة وقذف وسب من كلا الجانبين، قاما بتبادل ساخن لقصص الوعظ، عندما كانا يتناقشان بخصوص دفن البطل المتوفى، آياكس. ويبدأ مينيلوس بالتناوب باستقزاز تيوكروس بالقصة الآتية:

- ἤδη ποτ' εἶδον ἄνδρ' ἐγὼ γλώσση θρασὺν
- ναύτας ἐφορμήσαντα χειμῶνος τὸ πλεῖν,
- ὦ φθέγμ' ἀν' οὐκ ἐνηῦρες, ηνίκ' ἐν κακῷ
- χειμῶνος εἶχετ', ἀλλ' ὑφ' εἵματος κρυφεῖς
- πατεῖν παρεῖχε τῷ θέλοντι ναυτίλων·
- οὕτω δέ καὶ σε καὶ τὸ σὸν λάβρον στόμα
- σμικροῦ νέφους τάχ' ἂν τις ἐκπνευσας μέγας
- χειμῶν κατασβέσειε τὴν πολλὴν βοήν·

"قديمًا، رأيت رجلاً سلبط اللسان، كان يحث البحارة على الإبحار أثناء العاصفة، ولكن لم يستمع إليه أحد عندما استحوذت عليه عاصفة هوجاء، لكنه تكوم تحت عباءته، وسمح لأى من البحارة يريد أن يطأه بقدميه. وهكذا من المحتمل أن تهب عليك إحدى السحب الصغيرة من عاصفة شديدة و(تهب) على فمك النائر، وسوف تسكت كل صياحك"^(٢٨).

ويرد عليه تيوكروس:

- ἐγὼ δέ γ' ἄνδρ' ὅπως αὖ μωρίας πλέων,
- ὃς ἐν κακοῖς υβρίζει τοῖσι τῶν πέλας·
- κατ' αὐτὸν εἰσιδὼν τις ἐμπερήσῃ ἐμδί

- ὀργήν θ' ομοῖος εἶπε τοῖοῦτον λόγον,
- "ὦνθρωπε, μὴ δρᾷ τοὺς τεθνηκότας κακῶς
- εἰ γὰρ ποήσεις, ἴσθι πημανούμενος"

"ولقد رأيت رجلاً ذا غباء شديد، كان يسيء معاملة جيرانه في وقت شدتهم. وعندئذ رآه رجل يشبهني ومن نفس طبعي، نطق قائلاً هكذا: "أيها الرجل، لا تعامل الموتى بصورة سيئة، لأنك لو فعلت هذا، فلتعلم أنك ستعاني"^(٢٩).

في هذه النماذج القصصية يستخدم سوفوكليس، مثله مثل إيسخولوس، بذكاء المقدمة القصصية Promythium ليوظف القصص للحوار الدرامي ويحول النهاية القصصية الهادفة Epimythium إلى حكاية ذكية مملوءة بالسخرية.

أما يوربيديس (٤٨٠-٤٠٦ ق.م.) فقد فضل قصة الوعظ المستمدة من الأساطير. وهكذا في مسرحيته هيپوليتوس Hyppolitus، نجد مربية فيدرا Phaedra، بعد أن أدركت أن سيدتها قد وقعت في حب ابن زوجها، تحاول أن تبرر الموقف. وفي مجرى حديثها تقتبس القصة الآتية:

- ὅσοι μὲν οὖν γραφάς τε τῶν παλαιτέρων
- ἔχουσιν αὐτοῖ τ' εἰσὶν ἐν μούσαις αἰ
- ἴσασι μὲν Ζεὺς ὥς ποτ' ἠράσθη γάμων
- Σεμέλης, ἴσασι δ' ὥς ἀνῆρπασέν ποτε
- ἡ καλλιφεγγὴς κέφαλον ἐς Θεοὺς Ἔως
- ἔρωτος οὐνεκ' ἀλλ' ὁμως ἐν οὐρανῶ
- ναίουσι κού φευγούσιν ἐκποδὼν θεοῦς,
- στέργουσι δ', οἴμαι, ξυμφορῶ νικώμενοι
- σὺ δ' οὐκ ἀνέξῃ;

"وعلى هذا فإن كل أولئك الذين لديهم خبرة بكتابات القدماء، وهم مهتمون دائماً بربات الفنون، يعرفون أن زيوس قد تحرق شوقاً لمضاجعة سيميلي، ويعرفون أيضاً أن إيوس "الفجر"، إلهة الضياء المحبب (الجميل) قد اختطفت كيغالوس إلى أحضان الآلهة بسبب الحب. ولكنهم لا يزالون يواصلون الحياة في السماء، ولم يبعدوا أنفسهم عن نظر الآلهة، إنني أعني أنهم قانعون مقهورون بحظهم السيئ. ولكن هل أنت لا تقوى على هذا؟"^(٣٠)

من الواضح أن يوربيديس يشير إلى أحداث أسطورية، وهذه القصة تهدف إلى جعل حب فيدرا الآثم لهيبوليتوس حبا شرعيا، على الأقل في أعين المربية. إذا كانت الآلهة لا تستطيع أن تصمد أمام سهام الحب، فكيف يمكن للإنسان أن يصمد لها؟ وهكذا، فإن وظيفة القصة الأسطورية هي للبرهنة على مسابقة تستبيح العذر أو لتبرر الحاضر.

ولقد استخدم أريستوفانيس "قصة الوعظ" بصورة واسعة. على أية حال، لقد جسدها بعناية في مجرى أحداث القصة، لدرجة أنها نادرا ما كانت خارجية بوصفها إقحاما على نفس مجرى الحديث. على سبيل المثال في مسرحية "الفرسان" هناك سخرية سياسية موجهة بالفعل إلى الديماغوج كليون Cleon ، وفيها يخبر بائع السجق كليون عن الحيلة التي استخدمها لكي يسرق بعضا من اللحم:

– καὶ νῆ Δι' ἄλλα γ' ἐστὶ μου κόβαλα παιδὸς ὄντος

– ἐξηπάτων γὰρ τοὺς μαγείρους ἂν λέγων τοιαυτὶ

– "σκέψασθε, παῖδες· οὐχ οραῖθ'; ὦρα νέα, χελιδόν"

– οἱ δ' ἐβλεπον, καὶ γὰρ τὸν τοσούτῳ τῶν κρεῶν ἐκλεπτον

"بحق زيوس عندما كنت صغيرا كانت هناك حيل أخرى (مارستها)؛ لأنني كنت معتادا على خداع الجزارين بأن أقول أشياء من هذا القبيل؛ "انظروا، أيها الأولاد؛ ألا ترون؟ ها هو الربيع الجديد، عصفور (هناك)". وبالضبط عندما ينظرون (إلى أعلى)، كنت أنا أسرق الكثير من اللحم".^(٣١)

إن النواة الأساسية لهذه القصة، التي تم تقديمها على أنها حكاية، مستمدة من المثل "إن عصفورا واحدا لا يدل على الربيع"، إنها تتكون من موقف نضالي تنتصر فيه شخصية الضعيف (الصبي) على مجموعة قوية من الشخصيات (الجزارين)، وذلك بالحيلة (الخداع).

إن مقدمة القصة Promythium قد صيغت لتناسب وضع المسرحية، ولكنها مع ذلك تحتوى على ناحية أخلاقية؛ إذ إنها تحذر المشاهدين من مخاطر السداجة أو سهولة الانخداع. ونهاية القصة Epimythium موجودة ضمنا في تعليقات قائد الكورس الذي يتعجب باستهزاء:

– ὦ δεξιότατον κρέας, σοφῶς γε προὔνοιῃσ

– ὥσπερ ἀκαλήφας ἐσθίων προ χελιδόνων ἐκλεπτες

"يا أيها الشخص البارع جدا، لماذا دبرت بحكمة؛ لقد حصلت على غنيمتك (سرتك) مثلما تأكل الأشواك قبل العصافير (قبل أن تجيء العصافير)".^(٣٢)

حيث يرد بائع السجق أن:

- καὶ ταῦτα δρῶν ἐλάνθανον <γ' > εἰ δ' οὖν ἴδοι τις αὐτῶν,
- ἀποκρυπτόμενος εἰς τὸ κοχῶνα τοὺς θεοὺς ἀπώμνυν
- ὥστ' εἴπ' ἀνὴρ τῶν ρητόρων ἰδὼν με τοῦτο δρῶντα
- "οὐκ ἔσθ' ὅπως ο παῖς ὁδ' οὐ τὸν δῆμον ἐπιτροπεύσει"

"ولم تتم رؤيتي أبداً وأنا أفعل هذا؛ لأنه لو رآني أحد منهم، أقوم بإخفائها بين فخذى، وأقسم بالآلهة (إنى برئ)، وهكذا لو أن أحداً من الساسة فعل ذلك يقول: "ليس هناك بد أن هذا الصبي سوف يحكم الشعب يوماً ما".^(٣٣)

ويختتم قائد الكورس الحديث بسخرية:

- εὖ γε ξυνέβαλεν αὐτ'· ἀτὰρ δῆλόν γ' ἀφ' οὗ ξυνέγνω
- οτιῇ πῖώρκεις θ' ἠρπακὼς καὶ κρέας ο πρωκτὸς εἶχεν

"لقد تم تخمين هذا جيداً؛ ولكن من الواضح كيف تم حل العقدة؛ لأنك أقسمت كذباً وأنت سارق واستحوذ دبرك على اللحم"^(٣٤).

نجد هنا بصفة خاصة أن مقدمة القصة Promythium ونهايتها Epimythium كلاهما أصيل وقد تم صياغتهما بعناية، لدرجة أن قصة الوعظ تتلاءم بصورة طبيعية مع الحوار في المسرحية، وتؤدي إلى نقل الدرس الأخلاقي، الذي يختلط مع النقد اللاذع، إلى رجال السياسة.

ومع مضي الوقت كثيراً ما كتب أريستوفانيس، قصص وعظ، لابد أنها كانت ذائعة لأن التلميحات إليها كانت كافية لأن تتغل درسها الأخلاقي. إن أريستوفانيس، في الواقع، غالباً ما يشير إلى القصص بدون أن يرويها بالفعل. بلا شك، إن هذه الحقيقة تدل على أن كلا من أريستوفانيس والمشاهدين كانوا على ألفة مع أصل القصص التي كانوا يحتاجون إلى سماعها بصعوبة في جملتها.

في خلال هذه الفترة، نجد أن قصة الوعظ تظهر ليس فقط في المسرحية ولكن في مضمون كثير من الأنواع الأدبية الأخرى. وكما سبق أن أشرنا من قبل في "تاريخ" هيرودوتوس (حوالي ٤٨٨-٤٢٥ ق.م.)؛ إذ استشهد بقصة "لاعب الفلوت والسمة"، وذلك في حديثه عن المواجهة التي تمت بين قورش Cyrus والمبعوثين الأيونيين:

- "ὃ δὲ ἀκούσας αὐτῶν τὰ προίσχοντο ἔλεξε σφι λόγον,
- ἄνδρα φὰς αὐλητὴν ἰδόντα ἰχθῦς ἐν τῇ θάλασση αὐλέειν,
- δοκέοντα σφέας ἐξελεύσεσθαι ἐς γῆν' ὡς δὲ ψευσθῆναι τῆς
- ἐλπίδος, λαβεῖν ἀμφίβληστρον καὶ περιβαλεῖν τε πλήθος

- πολλὸν τῶν ἰχθύων καὶ ἐξαιρύσαι, ἰδόντα δὲ παλλομένους
- εἶπεν ἄρα αὐτὸν πρὸς τοὺς ἰχθύς "Παύεσθέ μοι
- ὀρχεόμενοι, ἐπεὶ οὐδ' ἐμέο αὐλέοντος ἠθέλετε ἐκβαίνειν
- ὀρχεόμενοι" Κῦρος μὲν τοῦτον τον λόγον τοῖσι ἴωσι καὶ τοῖσι
- Αἰολεῦσι τῶνδε εἵνεκα ἔλεξε, ὅτι δὴ οἱ Ἴωνες πρότερον
- αὐτοῦ Κύρου δεηθέντος δι' ἀγγελων ἀπίστασθαι σφέας
- ἀπὸ Κροίσου οὐκ ἐπείθοντο, τότε δὲ κατεργασμένων τῶν
- πρηγμάτων ἦσαν ἐτοιμὴ πείθεσθαι, Κύρῳ ὁ μὲν δὴ οργῇ
- ἐχόμενος ἔλεγέ σφι τάδε"

"بعد أن سمع ما اقترحوه (الأيونيون والأبوليون)، أخبرهم قورش بحكاية. قال لهم، ذات مرة كان هناك لاعب فلوت، رأى سمكة في البحر، فلعب على فلوته، وكان يظن أنها ستخرج إلى اليابسة؛ وهكذا بعد أن يؤس من أملة، أخذ شبكة وجمع فيها كمية كبيرة من السمك وسحبها إلى الخارج، وراه يقفز، وعندئذ قال للأسماك "إنكم الآن قد أقلعتم عن الرقص لي، ولم تريدوا الخروج والرقص لي آنذاك عندما عزفت لكم". السبب في أن قورش روى هذه القصة للأيونيين والأبوليين كان أن الأيونيين، الذين كانوا مستعدين أن يطيعوه، عندما تم إحراز النصر، قد رفضوا، في أول الأمر عندما أرسل لهم مبعوثين، أن ينقلبوا ضد كرويسوس. وهكذا رد عليهم بغضب". (٣٥)

وقد كتب هيرودوتوس أيضاً نماذج قصصية مثل قصة "الفرعون أماسيس وحمّام القدم الذهبي":

- ἦν οἱ ἄλλα τε ἀγαθὰ μυρία, ἐν δὲ καὶ ποδανιπτήρ χρύσεος,
- ἐν τῷ αὐτός τε ο Ἄμασις καὶ οἱ δαιτυμόνες οἱ πάντες τοὺς
- πόδες εκαστοτε ἐναπενίζοντο τοῦτον κατ ὧν κόψας ἀγάλμα
- δαίμονος ἐξ αὐτοῦ ἐποίησατο, καὶ ἰδρυσε τῆς πόλιος ὅκου ἦν
- ἐπιτηδεότατον οἱ δὲ Αἰγύπτιοι φοιτέοντες πρὸς τῷ ἀγάλμα
- ἐσέβοντο μεγάλως μαθὼν δὲ ὁ Ἄμασις τὸ ἐκ τῶν ἀστῶν
- ποιούμενον, συγκαλέσας Αἰγυπτίους ἐξέφηνε φὰς ἐκ τοῦ

- ποδανιπτήρος τώγαλμα γεγονέναι, ἐς τὸν πρότερον μὲν τοὺς
- Αἰγυπτίους ἐνεμέειν τε καὶ ἐνουρέειν καὶ πόδας ἐναπονίζεσθαι,
- τότε δὲ μεγάλως σέβεσθαι ἤδη ὧν ἔφη λέγων ομοίως αὐτὸς
- τῷ ποδανιπτήρι πεπρηγέναι· εἰ γὰρ πρότερον εἶναι δημότης,
- ἀλλ' ἐν τῷ παρεοντι εἶναι αὐτῶν βασιλεύς· καὶ τιμᾶν τε
- καὶ προμηθέεσθαι ἐωυτοῦ ἐκέλευε·

"لقد كان لديه من بين كنوزه الكثيرة حوض ذهبي لغسل الأرجل وكان أماسيس وجميع ضيوفه يغسلون فيه أقدامهم في كل وقت؛ وقام هو بتكسيه وصنع منه تمثالا لإله وضعه في أكثر أماكن المدينة أهمية؛ وكان المصريون يطوفون حول هذا التمثال ويقدمونه أيما تقديس. وعندما علم أماسيس بما يقوم به سكان المدن جمع المصريين وأخبرهم قائلا: إن التمثال قد صنع من حوض غسيل الأرجل، ومن قبل كانت رعيته تغسل أقدامها فيه وكانوا يتقنون فيه؛ والآن يقدمونه بصورة كبيرة. وقال لهم: هكذا يحدث معه الآن ما حدث مع حوض غسيل الأرجل؛ من قبل كان من العامة، ولكنه الآن مليكهم، وكان يأمرهم بأن يحترموه ويبجلوه".^(٣٦)

وهذه القصة تهدف إلى شرح كيف أن الفرعون قد اكتسب احترام المصريين، حتى بالرغم من أنه كان من العامة.

يروى لنا كسينوفون Xenophon (٤٣٠-٣٥٥ ق.م.) في كتابه Memorabilia عن رجل يدعى أريستارخوس Aristarchus كان قد جاء إلى سقراط ليطلب منه نصيحة بخصوص مغامرة تجارية، وبعد أن اتبع نصيحة الفيلسوف، نجح في تجارته كثيرا، لدرجة أن أهل بيته أصبحوا كخلية النحل في نشاطها وقناعتها. مهما كان، فقد كانت هناك شكوى واحدة من أريستارخوس:

- τέλος δὲ ἐλθὼν πρὸς τὸν Σωκράτην χαίρων διηγεῖτο

ταῦτα τε καὶ ὅτι αἰτιῶνται αὐτὸν τῶν ἐν τῇ οἰκίᾳ ἄργον ἐσθίειν

"وفي النهاية جاء مبتهجا إلى سقراط، وقص عليه هذه الأشياء، وأنهم يتهمون به بأنه (الوحيد) من بين من في المنزل يأكل بدون أن يعمل"^(٣٧).

ورد عليه سقراط:

- Εἴτ' οὐ λέγεις αὐταῖς τὸν τοῦ κυνὸς λόγον;

"ألم تخبرهم بحكاية الكلب؟" (٣٨)

وعندئذ شرع في رواية حكاية الخراف التي كانت تشكو من أن الكلب يعامل أفضل منهم، حتى بالرغم من أنها أكثر نفعاً للإنسان منه؛ لأنها تمدّه بالصوف واللبن واللحم. ورد عليهم الكلب بأن فائدته للإنسان أعظم من الخراف؛ لأنه يحمي البشر والغنم من المفترسين. ويختتم سقراط قوله:

- οὕτω δὴ λέγεται καὶ τὰ πρόβατα συγχωρῆσαι τὸν κύνα
- προτιμᾶσθαι καὶ σὺ οὖν ἐκείναις λέγε, ὅτι ἀντὶ κυνὸς
- εἰ φύλαξ καὶ ἐπιμελητὴς καὶ διὰ σέ οὐδ' υφ' ἐνὸς
- ἀδικούμεναι ἀσφαλῶς τε καὶ ἡδεως ἐργαζόμεναι ζῶσιν

"وهكذا يقال بأن الغنم سلمت (رضيت) بأن الكلب أفضل. وعلى هذا فإنك قلت لهؤلاء النسوة إنك كلبهن الحارس والأمين عليهن، وإنهن بفضلك يعشن ويعملن في أمان وراحة بدون أن يؤذيهن أحداً".

من الواضح أن هذه الأسطورة هي نموذج متطور تماماً. إن مقدمة الأسطورة تكمن في تعليق أريستارخوس الملتوى بأنه هو الوحيد من بين أهل بيته الذي يعد كسولاً بلا عمل، ونصيحة سقراط التي يروى فيها حكاية الكلب، تربط بصورة طبيعية ومتوافقة "قصة الوعظ" بالرواية الفعلية، مقدمة لنا، إضافة إلى هذا، تذوقاً للمغزى الأخلاقي. وخاتمة الأسطورة التي يستخرج منها سقراط المغزى الأخلاقي بالنسبة لأريستارخوس تستخدم أيضاً بوصفها رداً هادئاً على الرواية الفعلية. إن بناء الحكاية، الذي يدور حول الحوار بين الخراف والكلب، واضح أنه مستمد من قصة تعلل السبب الذي يفسر لنا لماذا يعامل الإنسان كل نوع من الحيوانات بطريقة مختلفة.

إن الموقف في الحكاية موقف بطولي بصورة واضحة؛ إذ إن الغنم تشعر بأن هناك انحيازاً ضدها، ولكن تفسير الكلب ينهي التوتر ويستعيد الوفاق في عالمهم.

من الواضح أن سقراط لا يستخدم الحكاية بصفة خاصة ولكنه يستعمل أيضاً "قصص وعظ" مستمدة من التشبيهات المسببة من النوع الهومري. على سبيل المثال في المأدبة Banquet، يروى لنا كسينوفون أنه بعد الوليمة أزعه رفاقه بسبب ولعه بالخمر، ورد سقراط بقوله:

- "Ἀλλὰ πίνειν μέν, ὦ ἄνδρες, καὶ ἐμοὶ παντὶ δοκεῖ τῷ γὰρ
- ο οἶνος ἄρδων τὰς ψυχὰς τὰς μὲν λύπας ὥσπερ ο μανδρα-
- γόρας ἀνθρώπους κοιμίζει, τὰς δὲ φιλοφροσύνας ὥσπερ
- ἐλαίον φλόγα ἐγείρει

"ولكن يبدو لي، أيها الرجال، أن الشرب حسن جداً، لأن الخمر في الواقع ترطب النفوس، وتخفف من أحزاننا، بالضبط مثلما ينوم تفاح الجن (نبات مخدر) الرجال، وفي الوقت نفسه تبعث على السرور مثلما يثير الزيت للهب"^(٣٩).

ويواصل سقراط حديثه بأنه:

- δοκεῖ μέντοι καὶ τὰ τῶν ἀνδρῶν σώματα ταὐτὰ πάσχειν
- ἅπερ καὶ τὰ τῶν ἐν τῇ φυομένων καὶ γὰρ ἐκείνα, όταν
- μὲν ο θεὸς αὐτὰ ἄγαν ἄθροως ποτίζει, οὐ δυναται
- ὀρθοῦσθαι οὐδὲ ταῖς αὐραῖς διαπνεῖσθαι όταν δ' ὅσω
- ἥδεται τοσοῦτο πίνη, καὶ μάλα ὀρθά τε αὐξεται καὶ
- θάλλοντα ἀφικνεῖται εἰς τὴν καρπογονίαν

"ولكن أظن أن أجسام البشر تعاني الشيء نفسه مثل النباتات التي تنمو في الأرض. لأنها عندما يسقيها الإله فجأة بصورة زائدة، لا تقوى على أن تقف منتصبه ولا أن يتخللها (يداعبها) النسيم، ولكنها عندما تشرب بقدر ما تستمتع (بقدر حاجتها) فإنها تنمو منتصبه تماماً، وتصل إلى (كامل) النمو والازدهار في محصولها"^(٤٠).

وقد بقي هذا النوع من "قصص الوعظ" شائعاً، ليس فقط في الأزمنة القديمة، ولكن في العصور الوسطى أيضاً.

كان استخدام "قصص الوعظ" منتشرًا بصورة واسعة في نهاية القرن الرابع ق.م.، وكثيراً ما استعمل ديموستينيس Demosthenes (٣٨٥-٣٢٢ ق.م.) "قصص الوعظ" في كتابه "عن التاج" De Corona وكانت مستمدة من التشبيهات المسهبة من النوع الهومري. حتى أفلاطون (٤٢٧/٨-٤٧/٣ ق.م.)، وأرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.) لم يأنفا من استخدام "قصص الوعظ". ويذكر لنا أفلاطون في الكيبياديس Alcibiades حكاية "طريق واحد إلى عرين الأسد" وكذلك حديثه عن اللذة والألم في Phaedo. ويروي لنا أرسطو قصة: "الحصان والإبل" و"الثعلب والقنفذ" في كتابه عن "فن البلاغة" Art of Rhetoric ... ؛ وأيسوبوس في ترسانة السفن في كتابه عن "علم الظواهر الجوية" Meteorologica ... ، و"الأسود والأرانب البرية" في كتابه عن "السياسة" Politics III.

"خصائص قصص الوعظ"

كما رأينا تعد "قصص الوعظ" اليونانية بالفعل أصيلة في العالم الهليني؛ إذ إنه يبدو أنها تطورت من التشبيهات والأمثال أو العبارات المستعملة كأمثال أو حكم، وأيضاً من القصص التي تشرح مسببات الأشياء (وأغلبها تتمثل في أبطال من الحيوانات) ومن الأساطير والحكايات. من أول هذه الفترة حتى آخرها، كانت صياغتها سلسلة تماماً وغالباً ما كان يتم تحديد مضمونها في سياق الكلام. وهكذا، فإن إيسخولوس الذي صاغ تراجيدياته شعراً، كتب أيضاً "قصص وعظ" بالشعر.

ومن ناحية أخرى، كتب يوربيديس مسرحياته بلغة عادية، وهكذا فإن "قصص الوعظ" التي كتبها كانت أيضاً بلغة عادية.

إضافة إلى ذلك، حتى عصر أريستوفانيس على الأقل، كانت "قصص الوعظ" مرتجلة، وكانت نواتها الأولى مأخوذة من روايات متنوعة وأنماط ليست روائية. وهكذا فإن قصتي الوعظ اللتين ذكرهما تيوكروس ومينيلوس لكليهما لم تكونا ذات تنوع أو تباين شعبي أو فلكلوري معروف، وكانتا من تأليف سوفوكليس نفسه على أكثر الاحتمالات. وكما رأينا من قبل في مسرحية "الفرسان" فقد ابتدع أريستوفانيس قصة "بائع السجق من أحد الأمثال، وابتدع يوربيديس نماذجاً من القصص من تلميحات قصيرة لأحداث أسطورية. وفي حوالى نهاية تلك الفترة، نجد أن "قصص الوعظ" قد اتخذت لها شكلاً أكثر تميزاً، كما يتضح ذلك من الأمثلة المأخوذة من هيرودوتوس وكسينوفون. وبقيت نماذج "قصص الوعظ" الأخرى في تدفق، ولم يتبلور تكوينها كما كانت عليه في العصور الوسطى.

يبدو أن المضمون الذي أخذت منه "قصص الوعظ" عادة، قد أرجعه الإغريق فعلاً إلى مواقف اجتماعية. وإن حكايات أيسوبوس Aesopus، غالباً ما كانت، بصفة خاصة، تكفي إما للسخرية من خصم أو لإثارة الضحك ونشر مواقف اجتماعية بها توتر وشد؛ إذ لا يجب أن يكون فيها التعدي البدني غير مقبول، وقد تم استخدام "قصص الوعظ" في الموضوعات الفلسفية والتاريخية أو العلمية كي توضح أفكاراً مجردة باصطلاحات مادية.

وقد ذكر رودريجويز Rodríguez Adrados^(٤١) أن "قصص الوعظ"، وبصفة خاصة في الحكايات، قد استخدمت قرائن اجتماعية متنوعة. لقد كان عنصراً مهماً في الأمور القضائية والمناقشات السياسية، كما هو واضح في المواجهة بين مينيلوس وتيوكروس، وتلعب أيضاً دوراً في التسلية على المآذب الخاصة والرسمية؛ إذ يتبادل فيها المدعون ردوداً بديهيّة ذكية، غالباً ما تكون في شكل "قصص وعظ"، كما هو واضح في كوميديات أريستوفانيس وفي مآذبة كسينوفون.

ويعتقد رودريجويزه Rodríguez Adrados^(٤٢) أيضاً أنه في حوالى نهاية العصر الذهبي الإغريقى، أصبح من الشائع أن يتم تجميل الخطب أو الأحاديث، بصورة نمطية، بهذه القصص؛ إذ إن هناك اعتقاداً بأنها طريقة فعالة للوصول إلى خيال الجمهور، حتى إنه يقال إن أرسطو قد صاغ بعض قصص الوعظ بالشعر عندما كان في السجن، بالرغم من أنه لم يبق منها شيء. إضافة إلى ذلك، فإن "قصص الوعظ" وبصفة خاصة الحكايات، قد وجدت في المناهج المدرسية؛ إذ إنها استخدمت بوصفها وسائل تعليمية. ولم يكن متوقعاً من التلاميذ أن يحفظوا عن ظهر قلب عدداً لا بأس به من "قصص الوعظ"، بل كان من المتوقع منهم أن يصيغوا بالمثل "قصص وعظ" أصلية أيضاً.

- Aristotle, Art of Rhetoric. J.H. Freese. LCL.
Meteorologica. W.K.C. Guthrie. LCL.
Politics, H. Rachbam. LCL.
- Aeschylus, H. Weir Smyth. 2 Vols, LCL.
- Aristophanes, Benjamin Bickley Rogers. 3 Vols, LCL.
- Euripides, A.S. Way, 4 Vols, LCL.
- Herodotus, A. Godley, 4 Vols, LCL.
- Hesiod, H.G. Evelyn White. LCL.
- Homer, Iliad. A.T. Murray. 2 Vols. LCL.
Odyssey. A.T. Murray. 2 Vols. LCL
- Plato, Alcibiades. W.R.M. Lamb. LCL.
Phaedo. H.N. Fowler. LCL.
- Sophocles, F. Storr. 2 Vols. LCL.
- Xenophon, Memorabilia. E.C. Marchant. LCL.
,Symposium. C. L. Brownson and O. J. Todd. LCL.

- Champion, Timothy et al. Prehistoric Europe, London: Academic, 1984.
- Levi, Peter. Atlas of The Greek World, New York: Facts on File Publications, 1982.
- Penzer, N.M. ed. The Ocean of Story, Being C.H. Tawney's Translation of Somadeva's Katha Sarit Sagara, Delhi: Motilal Barsidass, 1923-8: 320-5.
- Perry, Ben Edwin, ed. and trans. Babrius and Phaedrus, Cambridge, M.A. Harvard University Press, 1965.
- Reynolds, L.D. and Wilson, W.G. Scribes and Scholars. Oxford: Clarendon, 1974.
- Rodríguez Adrados, Francisco: "El papiro Rylands 493 y la Tradición fabulistica antiqua". Emerita 20 (1954): 337-88.
- _____ Historica de la Fábula Greco-Latina. 2 Vols. Madrid: Editorial de la Universidad Compultense, 1980.

Theodor Benfey, "Beitrage zur Geschichte der Verbreitung der Indischen Sammlungen von Fabeln und Erzählungen, Ursprungliche Grundlage der Sieben Weisen Meister".

Orient und Occident 3 (1866): 171-80.

Penzer, N.M, ed. The Ocean of Story, Being C.H.Tawney's, Translation of Somadeva's Katha Sarit Sagara. Delhi: Motilal Barsidass, 1923-8: 320-5.

Perry, Ben Edwin, ed. And Trans. Babrius and Phaedrus.

Cambridge, MA: Harvard University Press, 1965 pp. 33-4

Rodríguez Adrados, Francisco. Historia de la Fábula Greco-Latina.

2 vols. Madrid: Editorial de la Universidad Complutense. 1980. vol. I. P. 39.

Reynolds, L.D. and Wilson, N.G. Scribes and Scholars.

Oxford: Clarendon, 1974. p. 36.

Rodríguez Adrados, Francisco. "El Papiro Rylands 493 y

La Tradición Fabulistica Antiqua". Emerita 20 (1954): 337-88.

Reynolds and Wilson, op.cit., p. 45.

Champion, Timothy et al. Prehistoric Europe. London: Academic, 1984. pp. 50-53.

Idem, p. 62-5.

Levi, Peter. Atlas of The Greek World. New York: Facts on File Publications, 1982. P. 212 ff.

Idem, op.cit. p. 233 ff.

Idem, op.cit. p. 246 ff.

Idem, op.cit. p. 301 ff.

Op.cit. vol. I p. 80 ff.

نسبة إلى Συβαρις، وهي مدينة إغريقية قديمة في جنوب إيطاليا، اشتهرت بالثراء والترف. نسبة إلى Illyricum، وهي المنطقة التي كان يسكنها الألبانيون الهنود-أوربيون، وكانت تعنى بالنسبة للأغريق الجزء الجنوبي من المنطقة التي تجاور مقدونيا وأبيروس والمدن الإغريقية على الشاطئ الألبانياتيكي والجزر، وبالنسبة للرومان، كل المنطقة من جبال الألب الشرقية إلى المنطقة الخلفية لخليج Valona. وكان الإلبانيون محبين دائما للحرب برا وبحرا.

Rodríguez Adrados, op.cit. vol. I 59 ff.

Op.cit. vol. I, p. 62 ff.

Homer, Iliad, XI, 544-555.

Homer, Iliad, XI, 556-565.

Homer, Iliad, V, 554-558.

21-Homer, Odyssey, IV, 333-340.

^{٢٢} إنجيل متى، الإصحاح ٢٦:٥٢.

Hesiod, Works and Days, 202-212.

Op.cit. vol. I, p. 35 ff.

- Rodriguez Adrados, op.cit. vol. I, p. 39.
Perry, op.cit., p. 18.
Aeschylus, The Seven Against Thebes, 289-294.
Aeschylus, Agamemnon, 717-736.
Sophocles, Ajax, 1142-1149.
Sophocles, Ajax, 1150-1156.
Euripides, Hyppolitus, 451-459.
Aristophanes, Knights, 417-420.
Idem, Knights, 421-422.
Idem, Knights, 423-426.
Idem, Knights, 427-428.
Herodotus, I, 141.
Herodotus, II, 172.
Xenophon, Memorabilia, II, Vii, 12.
Idem, Memorabilia, II, Vii, 13.
Xenophon, Banquet, II, 24.
Idem, Banquet, II, 25.
Op.cit., vol. I, p. 50 f.
Op.cit., vol. I, p. 54.